

# مواجهة مع مقاتل

## إلين لاميرز

عليها المسؤول الاجتماعي نقل العائلة إلى إحدى مستوطنات اللاجئين في ريف أوغندا. وهذه فكرة سخيفة لأنه حتى إذا تحسن مستوى مرض السل وضعف الدم، وعليهما هي ويعقوب إجراء الكشف الشهري لتحديد موعد البدء بأخذ المضادات، هذا إذا كانوا محظوظين بما فيه الكفاية للوصول إلى ذلك العلاج.

"لم أعد أعمل مع القوات المسلحة، ولا بالسياسة، لكنني سادف عن شعبي. أتعرفين يا إلين، لم أفقد الأمل أبداً. وإذا بقيت في هذه الحياة، لنقل في شهر أكتوبر، سأرجع إلى السودان وأساعد مجتمعي. نحن فقط أربعة الذين تعلمنا في مجتمعي. ولكن أتعرفين ما هي المشكلة؟ هناك الكثير من الأسلحة في جنوب السودان". ويبتسم يعقوب ويمزح: "هناك، لا تحتاجين للذهاب والبحث عن أسلحة، لأنها تأتي تبحث عنك".

أعطيت يعقوب المسجل الذي سجل فيه أفكاره في ذلك الركن الهادئ الذي اكتشفته في المستشفى المزدهم. وفي زيارتي الأخيرة أعطاني شريطين وطلب مني وعداً بالمحافظة عليهم. "لا يعرف الكثير من أطفال السودان أي خير عن آباءهم. وأحياناً أتمنى أن أعيد أبنائي إلى رحم أمهم ولكنني لا أستطيع. أريدكم على الأقل أن يتذكروا صوتي".

إلين لاميرز، باحثة في جامعة أمستردام، وتعد رسالة مبنية على بحث أجري لمدة ثلاثة سنوات بين الشباب في كامبالا الذين هربوا من النزاع في السودان والدول الأخرى المدمرة بفعل الحرب. البريد الإلكتروني: [lammersellen@gmail.com](mailto:lammersellen@gmail.com)

وسط روتين الحياة في أمستردام، تذكرت لقائي مع يعقوب قبل أربعة سنوات عندما كان يدفع نفسه في كرسيه المتحرك في العنبر المكتظ في مستشفى كامبالا.

غرفة يعقوب، وتفرغ الوعاء البلاستيكي تحت سريره. وفي الأيام التي كنت أصل هناك قبلها، كنت أجلس على السرير حتى لا أرى ما تحته، وأشعر بالسخرى وعدم الجدوى ولكنني لا أتحمّل رؤية ذلك السائل العكر الأحمر. وتبدو روز قوية دائماً ولكنها نظرت للأرض عندما أخبرتها بذلك وقالت: "أنا قلقة فقط على الأطفال". أخبرني يعقوب أنه يصلي أن يمد الله بعمره: "فقط حتى يكبر الأولاد قليلاً، ويصبحون قادرين على التمييز بين الصحيح والخطأ". وأفاد بأن روز مرت بوقت قاسي في السودان، ففساء القرية اللاتي كن يجتمعن عند حنفية الماء العامة كن يبعدن من أمامها عندما تقترب، ويصحن: "لتأخذ تلك المرأة الدور الأول، وإلا سيأتي زوجها ويزعنا!". كان يعقوب وروز يخافان أن ينذ أطفالهم أو يصبحون آلات للانتقام ما لم يعيشوا لحمايتهم.

أتساءل عندما أنظر إلى يعقوب وروز: كم هو عدد الأشخاص المصابين بهذا المرض في موطنهم؟ فنادرًا ما نسمع عن فيروس مرض فقدان المناعة/ الإيدز في الخطاب السوداني، لأن التركيز كان دائماً على الحرب، ولأن جنوب السودان لا يوجد بها أي مرافق صحية يمكن التحدث عنها، فالإجابة المحتملة على سؤالي هي أن لا أحد يعرف.

تدفع المفوضية السامية للأمم المتحدة لحقوق الإنسان نفقات علاج يعقوب ولكنها توقفت عن إعالة عائلته، لذلك تعيش زوجته وأطفاله في حجرة واحدة، دون كهرباء أو نوافذ و يناموا على فراش واحد فقط. وعندما شكت روز، اقترح

تحدثنا عندها عن السودان واتفاقية السلام التي وقعت منذ أسبوعين. وكان يعقوب متحمساً ولكن متشككاً. كما هو حال معظم السودانيين الذين قابلتهم. "حصل أولئك الناس المهمين على ستة مائة دولار أمريكي في اليوم الواحد مقابل حضورهم لتسوية عملية السلام، ولكن شعبنا ما زال يستمر في المعاناة". ويشارك يعقوب خوفه مع الكثيرين أن الإكويوتوريين والدينكا سيبدوون قريباً في محاربة بعضهم البعض: "قد يكون لدينا سلام مع أعدائنا ولكن هل لدينا سلام بين أنفسنا؟" وشكك يعقوب فيما إذا كان جون قرنغ سيتمكن من إرضاء قادة جيوشه؛ فهم جميعاً يريدون الحصول على مكسب ما من هذه الاتفاقية: مثل المال، والأرض ومواقع سلطة في الحكومة المؤقتة، فعليهم أن يطعموا زوجاتهم ويعلموا أطفالهم. لذا ماذا ستقدم لهم الحركة؟ فهي لا تمتلك أي سمعة بأنها تهتم بالمقاتلين. وكان يعقوب قد تُرك يحتضر في المستشفى وحيداً، لأنه لا يوجد من يسأل عنه. وبالرغم من أنه حتى سجنه (بعد اختلافه مع قائد كبير) ورحلته النهائية إلى كامبالا، خدم لسنوات طويلة في مقر قرنق، بقي مستاء من انتهاكات حقوق الإنسان على يد الجيش الشعبي لتحرير السودان ولكنه لم يحرر نفسه من سبب الحركة، فقد قضى نصف عمره مرتبطاً في أطول حرب عاشتها إفريقيا.

لقد كان يعقوب ضعيفاً جسمه الآن، بأكتاف مقنونة العضلات وضخمة، أما الآن فأصابعه نحيفة، وأرجله بحجم معاصمي، وهو دائماً مبهم ومغطي لرأسه، ولكنه ما زال يحتفظ بنفس تلك الابتسامة الجذابة والصوت الثابت. وقد رأيت في وجهه الرقيق آثار ذلك الولد الصغير، وتذكرت فجأة ما قاله منذ سنوات: الأمور التي قام بها كجندي قوي، مدعم بسلطته التي نالها مؤخراً - سلاح الكلاشنكوف كان هو "أبوه، وأمه، وطعامه، وكل شيء هو له". في ذلك الوقت كان يفهم القليل فقط عن السبب الذي كان يحارب من أجله، وهي أمور شعر بالأسف عليها فيما بعد.

تصيب كل من يطلع على إحصاءات فيروس مرض فقدان المناعة/ الإيدز في إفريقيا الصدمة ولكنها لا تؤثر ذلك التأثير كروية شخص تعرفه يعاني من المرض. كانت روز - زوجة يعقوب تزوره يومياً، وإذا كان لديها شيء ما تأكله فإنها كانت تحضره معها، وإلا فإنها تأخذ من حصته اليومية المكونة من البوشو (ثريد طحين الذرة) والفاصوليا التي يقدمها له المستشفى إلى البيت لتطعم أطفالها. وهي عادة من ينظف

مرأة السودان

